أبحاث ندوة عمارة المساجد، م ٥ أ، ص ص ٣١-٥٤، كلية العمارة والتخطيط، جامعة الملك سعود (١٤١٩ هـ/ ١٩٩٩م)

الاعتبارات الإنسانية في تصميم المساجد

عبد العزيز بن سعد بن حمد المقرن

قسم العمارة وعلوم البناء، كلية العمارة و التخطيط, جامعة الملك سعود

الرياض، المملكة العربية السعودية

ملخص البحث: تُعد المساجد من أهم المرافق العامة في الحياة اليومية للمجتمع الإسلامي، إذ تشكل عنصراً هاماً في ربط العبد واتصاله بخالقه خمس مرات في اليوم؛ فهو ﷻ الذي فضلها ورغب في بنائها وعمارتها حسّاً ومعنى، وجعل أهم وظائفها ذكره وتسبيحه وإقامة الصلاة له.

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأوضاع الراهنة لحالة المساجد بشقيها: المساجد المحلية والجوامع، في مدينة الرياض، ومعرفة مدى ملاءمتها للاعتبارات الإنسانية للمصلين، ومعرفة مدى تأثير العناصر الداخلية والتكميلية على سلوكهم. وتعتمد الدراسة على الأسلوب الوصفي والتحليلي للمعلومات المستخلصة من خلال دراسة ميدانية شملت مسحاً ميدانياً ومقابلات شخصية ومشاهدات سلوكية، لاستكشاف رغبات المصلين وانطباعاتهم وأهم الاعتبارات المرتبطة بها. وخلصت الدراسة إلى أهمية إعادة النظر في عملية تصميم المساجد وتشييدها، مع التركيز على التصميم الداخلي لها بما يتناسب واحتياجات المصلي النفسية، ويتوافق وينسجم مع الوظيفة الأساسية لشروط الصلاة وأركانها، والتنسيق بين القطاع الخاص والجهات المسئولة في بناء المساجد بما يخدم المجتمع.

المقدمة

يُعد المسجد أول بيت لله وضعه للناس، ليقام فيه دينه، وتدرس فيه شرائعه، وتؤدى فيه الشعائر التعبدية التي فرضها الله ﷻ أو سنها رسوله الكريم ﷺ. كما تؤدى فيه الوظائف الدنيوية الأخرى المتعلقة بتربية المسلم وتثقيفه فرداً وجماعة، وتناقش فيه كثير من الأمور المرتبطة بسياسة الدولة. لذا فإن المسجد لا يُعد مكاناً خاصاً بأداء الشعائر الدينية المفروضة على المسلمين فحسب، بل مكان مقدس شامل لأداء جميع نشاطات ووظائف المسلمين الدينية بما يتعلق بمكانته وقدسيته. ومما يدل على مكانة المسجد وقدسيته وعظم منزلته عند الله أنه ﷻ رغّب في عمارته شكلاً ومضموناً، ووعد من ساهم في عمارته أن يبنى له بيتاً في الجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ ...﴾. [١، التوبة، الآية: ١٨] وقد نسب المساجد إليه ﷻ، فليست هي لأحد سواه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾. [١، الجن، الآية: ١٨] ومما يدل على مكانة المساجد، أيضاً، شهود الملائكة لها، والأمر بتنظيفها وتنزيهها من الروائح الكريهة حفاظاً على كرامة المصلين ومراعاة لمشاعرهم الإيمانية. فالمساجد بيوت الله، وأهل المساجد هم المؤمنون من عباد الله. وقد ذكرها الله ﷻ في محكم

تزيله بلفظ المسجد أو المساجد أو المسجد الحرام في ثمانية وعشرين موضعاً، ووردت الإشارة إلى معناه تسعة عشر مرة. والمسجِد بالكسر، يطلق على مكان السجود، والمسجَد بالفتح جبهة الرجل عندما يكون في السجود، والمِسجد بكسر الميم الخُمرة وهي الحصير الصغير. [٢، ص١٣] والمسجد شرعاً:هو المكان الذي يسجد فيه، فكل مكان يسجد فيه أو يتعبد فيه هو مسجد، وهذه خاصية من خصائص أمة محمد فقط. ولذلك قال الرسول ﷺ: "وجعلت لي الأرض مسجدً وطهوراً، وجعلت لغيري مسجداً و لم تجعل له طهوراً." [٢، ص ١٤] ولأن السجود هو أشرف الأفعال والعبادات، اشتق اسم المكان منه فقيل: مسجد و لم يقولوا مركع. أما لفظ (الجامع) فهو وصف للمسجد الكبير، فقد قال هشام بن عمار: لما افتتح عمر بن الخطاب رضي الله عنه البلدان كتب إلى أبي موسى وهو على البصرة يأمره أن يتخذ مسجداً للجماعة، ويتخذ للقبائل مساجد، فإذا كان يوم الجمعة انضموا إلى مسجد الجماعة، مما يدل على أن الجامع هو المسجد الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة.[٢، ص ١٤]

ولقد اتفق على أن يسمى كل مكان يخصص للعبادة مسجداً، وإن كانت الأرض كلها مسجداً وطهوراً لأمة محمد ﷺ ، إلا أن هناك فرقاً بين أرض تخصص للعبادة فقط، وأرض تصلح لحركة الحياة. ويذكر الشعراوي أن المصنع فيه حركة الحياة، ولكن عندما يحين وقت الصلاة فإنه يباح للعامل أن يصلي فيه، وكذلك المزارع في مزرعته والموظف في مكان عمله، وهكذا. ولكن إذا كان ذلك المكان مسجداً فإنه يصبح مقصوراً على الصلاة والعبادة فقط، ولذلك قال الرسول الكريم ﷺ للرجل الذي جاء يبحث عن جمله الضال في المسجد: "لا رد الله عليك ضالتك"، وقال للذي حضر إلى المسجد ليعقد صفقة تجارية, "لا بارك الله في صفقتك." [٣، ص ٧١] وهذا يدل على أن المسجد خصص للعبادة فقط، فلا ينبغي أن يشغل الإنسان نفسه فيه بأمور الدنيا.

وقد حظي المسجد، وهو ذو المنزلة العظيمة في الإسلام، من حيث البناء والتشييد باهتمام كبير من قائد هذه الأمة، وتبعه معظم حكام المسلمين من بعده، حتى أصبح الشاهد الأمثل والدليل الأوضح لعمارة المكان والزمان الذي أنشئ فيه، كما يعكس المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي له. و لم يكن الهدف من عمارة المساجد المباهاة أو المبالغة في الزخرفة والنقش بماء الذهب وتزيينه بالرخام النادر وقناديل الإضاءة المطلية بالذهب والفضة وفرشه بالسجاد الغالي لأداء الصلوات المفروضة، إنما كان الهدف من بنائه قوة تأثيره في نفوس المسلمين بالإيمان وتهيئة الجو الروحي الملائم لأداء المفروضات، والأعمال الصالحة من تلاوة كتاب الله، ودراسته، والاعتكاف فيه، دون تشويش أو إزعاج، وأن يحافظ على نظافتها وطهارتها. وقد روى سمرة بن جندب رضي الله عنه أنه قال: "فإن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالمساجد أن نصنعها في ديارنا، ونصلح صنعتها ونطهرها." [٤، ص ٩٩]

ومتى ما شعر المصلي بالطمأنينة وعمق الاتصال الروحي بينه وبين خالقه، فإن رسالة المسجد قد اكتملت؛ لأن الخشوع في الصلاة، والتوسل إلى الله هو أساس الصلاة التي هي عماد الدين. لذا فإن نوعية وطريقة بناء المسجد لا تأتي في المقام الأول إذا كانت لا تساعد المصلي في خشوعه وخضوعه لله ﷻ. فسواء كان بناء المسجد من الطين والسعف والنخيل والحجر والرمل أو من الرخام النادر والخزف الملون والمكسية بماء الذهب الثمين، فالمهم أن يتم أداء الفريضة المكتوبة بخشوع. وقد ذكر الله الخشوع في أول ما ذكر من صفات المؤمنين في سورة المؤمنون فقال

ﷻ ﴿قد أفلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾. [١، المؤمنون، الآيتان: ١، ٢] كما وردت أحاديث كثيرة عن رسول الله ﷺ تدل على أن الهدف الأول من بناء المساجد هو عبادة الله مع الترهيب في المبالغة في التشييد والزخرفة. وقد ذكر أبو داود من حديث ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : "ما أمرت بتشييد المساجد، لتزخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى." [٤، ص ٩٩] وعن ابن عباس (وفي رواية عن أنس بن مالك) قال: قال رسول الله ﷺ : "لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد." [٤، ص ٩٩]

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة معرفة أوجه القصور في تصميم المساجد بما يتناسب مع الوظيفة الأساسية لها، وفي الوقت نفسه معرفة مدى ملاءمتها للاعتبارات الإنسانية في أداء الشعائر الدينية بطمأنينة وخشوع دون تشويش أو إزعاج. ويمكن تحقيق ذلك عن طريق ما يلي:

١) معرفة الوضع الراهن لمباني المساجد، ومدى ملاءمتها لاحتياجات المصلين.

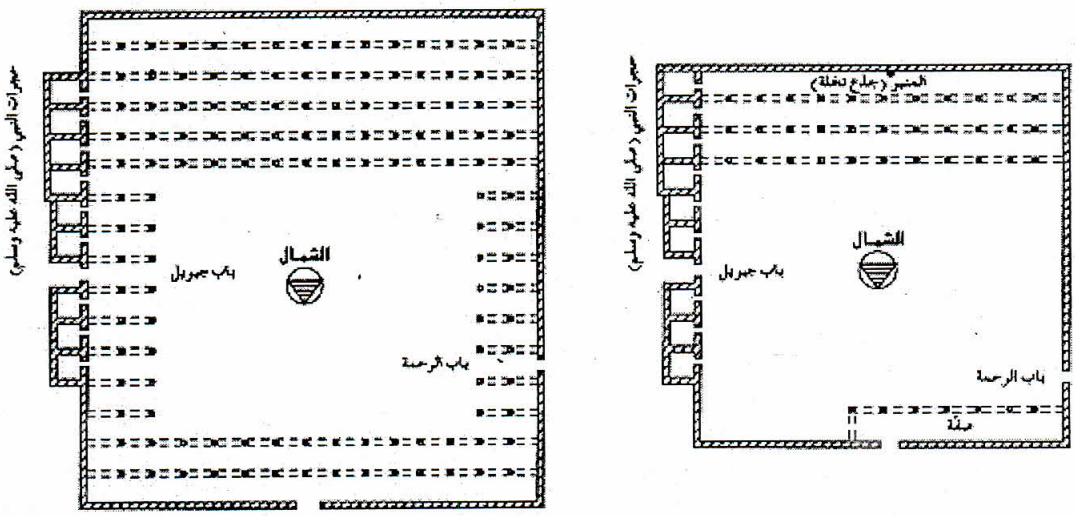
٢) معرفة العناصر المعمارية الرئيسية المشكلة للمسجد، والعناصر الأخرى المكلمة له، وتأثيرها على سلوك المصلين.

خلفية عامة عن عمارة المساجد

تعد عمارة المساجد من أبرز فروع العمارة الإسلامية التي تأثرت بالجانب الروحي، إذ جسم المسجد بتكوينه المعماري البسيط وخلوه من التكوينات المعقدة، والفنون المصطنعة، والزخارف والنقوش المصورة المعاني الروحانية والتعاليم الشرعية للدين الإسلامي. كما وضع تكوين المسجد وفراغاته المبادئ الأساسية للفن الإسلامي. ولقد تطورت العمائر الدينية تطورا سريعا ساير ركب الحضارة الإسلامية، فتعددت أشكالها وأساليبها تبعا لتعدد وتغير وظائفها. ومن البديهي أن يكون المسجد هو مولد هذا الفن الجديد. فبتكوينه البسيط، وتكامل فراغاته، و قوة ارتباط المجتمع الإسلامي به، أصبح المسجد هو نواة التخطيط في جميع العصور التي مرت بها المدنية الإسلامية، وقد ساعد على ذلك وضوح العقيدة، وبساطتها، وقوة مبادئها، ونقاوتها من الأسرار الغامضة التي تتسم بها جميع الشعائر والطقوس والعقائد الأخرى. [٥، ص ١٠ – ١٣] ولقد كان للمباني الدينية خلال العصور المختلفة دلالات ومفاهيم وأسس عبر عنها المسجد الذي صاحب تصميمه وبناؤه على مر الزمن عوامل اجتماعية، وبيئية وسياسية، وثقافية، واقتصادية، أثرت أكبر التأثير على شكله وتكوينه، لكن دون إخلال بمضمونه وجوهره، واتخذ التكوين المعماري للمسجد أشكالا وأنماطا متعددة ومختلفة تبعا لاختلاف الزمان والمكان والسلطة.

ولقد كان أول عمل قام به الرسول ﷺ عند هجرته إلى المدينة هو بناء مسجد للمسلمين في مربد التمر الذي بركت فيه ناقته، فجعل بناءه بسيطا فريدا، يحقق الوظيفة التي أمر الله بها ﷻ رسوله الكريم التي تتمثل في عبادته ونشر دعوته وتعليم شعائر دينه. ويذكر المهتمون بعمارة المسجد النبوي الشريف [٢، ٥، ٦، ٧، ٨] أنه كان مربع الشكل، مساحته تقدر بسبعين ذراعا من الشمال إلى الجنوب، وستين ذراعا من الشرق إلى الغرب، وارتفاعه سبعة

أذرع، وجاء في الصحيح أن بناءه كان من اللبن والطين، وسقفه من الجريد والخوص، وعمده من جذوع النخل. وكان المسجد يتكون من صحن مفتوح يحيط به من الجهة الجنوبية رواق مغطى للصلاة، ورواق آخر في جهة الشمال كان يجتمع فيها الرسولﷺ بأصحابه يطلق عليه الصفة. وتبعا لزيادة عدد المسلمين وخاصة بعد انتشار الإسلام عقب صلح الحديبية سنة ٦ للهجرة، وانتصاره ﷺ على يهود خيبر في غزوة خيبر والصلح معهم على أن يأخذ نصف أموالهم، زاد عليه الصلاة والسلام في مسجده وجعله مائة ذراع في مائة. [٢، ص ٧٠] ثم زاد عليه عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفانﷺ إلى أن أصبح المسجد في صورته النموذجية الفريدة لجميع المساجد الإسلامية بعد ذلك، والتي تتمثل في صحن مكشوف يحيط به أروقة من كل جانب أوسعها رواق القبلة (شكل ١). ويعد هذا الطراز الإسلامي الجديد مختلفا كل الاختلاف عن دور العبادة المسيحية أو اليهودية المنتشرة في ذلك الوقت، وحدد وبأسلوب واضح ومميز النمط المعماري الجديد لمعظم المساجد التي أنشئت في مدن العالم الإسلامي من الشرق إلى الغرب.



المسجد النبوي في عهد الرسول ﷺ. المسجد النبوي في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

شكل ١: المسقط الأفقي لمراحل تطور المسجد النبوي منذ عهد الرسول ﷺ إلى عهد عثمان بن عفان ﷺ.

ثم تفرعت الإضافات المعمارية الأخرى للمسجد – مع الإبقاء على الشكل العام للمسجد – فأدخلت المآذن في عام ٨٨ هـ في عهد الوليد بن عبد الملك، وبرزت فكرة بناء المئذنة من وظيفتها إذ كان المؤذن في عهد الرسول ﷺ يدعو للصلاة من أعلى سطح مجاور للمسجد. ثم ظهر المحراب، ثم الزخرفة الخطية، والنقوش التي يرى المؤرخون أنها أدخلت بعد انفتاح المسلمين على الحضارات الأخرى في الشرق والغرب. ويمكن تلخيص العناصر الرئيسية المكونة للمسجد والإضافات المعمارية الأخرى كما يلي: [٥]

أ) **العناصر الرئيسية:** وتتمثل في الصحن المكشوف، رواق أو إيوان الصلاة، المحراب والمنبر، الميضأة، والمئذنة.

ب) **عناصر خارجية مكملة**: وتشمل القوصرات والفتحات، والمداميك الملونة، اللحامات المتداخلة، المقرنصات، الشرفات، المداخل، الأبواب والشبابيك.

ج) **عناصر داخلية**: الزخارف النباتية، الزخارف الهندسية، الخطوط والطراز، الكسوات الرخامية، الفسيفساء.

د) **عناصر إنشائية**: الأعمدة والدعائم، التيجان، العقود، القباب، القبوات.

ويمكن القول أن المباني الدينية منذ ظهور الإسلام إلى عصرنا الحديث أخذت أنماطاً متعددة ارتبطت بنماذج واضحة المعالم يصفها الدكتور عبد العالم إبراهيم في ثلاثة نماذج: التكوين العربي المستنبط من مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام ويتميز بالبساطة في التكوين والاهتمام بالصحن المكشوف الذي تحيط به الأروقة من جميع جهاته مع الاتساع في رواق القبلة؛ والتكوين الفارسي الذي تشترك ملامحه مع التكوين العربي المتمثلة في الارتباط بالصحن المكشوف كقلب للمسجد ولكنه ينفرد في المبالغة في الفخامة والزخرفة ونظام الإيوانات بشكل صليبي متناظر؛ والتكوين العثماني الذي يتميز بتحويل المحور الرأسي من فراغ مكشوف إلى فراغ مغطى يعلوه قبة مرتفعة، وبذلك تلاشت الأروقة المحيطة بالصحن المكشوف، وتحولت الأعمدة الحاملة للسطح إلى دعامات أو أكتاف ثقيلة حاملة قبة ضخمة. [٥]

وفي العصر الحديث أخذت عمارة المساجد تبتعد تدريجياً عن الأصول والمبادئ التي قامت عليها أسس التخطيط والتصميم للمباني الدينية قديماً وتحول المسجد من صحن مكشوف تحيط به الأروقة من كل جانب إلى كتلة صماء. وتم الاستغناء عن تلك الفراغات المفتوحة، واقتصر فقط على فكرة التصميم المقفل. وبذلك ساعد التصميم العثماني للمسجد على قبول فكرة التصميم المقفل للمسجد في المنطقة العربية. [٥]

إذن يتسم تصميم المسجد بالسهولة في تكوين عناصره المعمارية الرئيسية وترتيبها مقتدين في ذلك بمسجد الرسول ﷺ، وفي الوقت نفسه بالصعوبة لضرورة توظيف هذه العناصر بما يتوافق مع الطبيعية البشرية، ومدى ملاءمتها للاعتبارات الإنسانية في أداء الشعائر الدينية دون تشويش أو إزعاج. كما أن التطور الكبير ليس فقط في مواد البناء وتقنيته، بل، أيضاً، في جميع أوجه الحياة الفكرية والثقافية جعل من تصميم المسجد وبنائه من الأمور التي ينبغي الاهتمام بها.

منهج الدراسة

إن جمع المعلومات اللازمة لهذه الدراسة تعتمد على الاحتكاك المباشر بمجتمع البحث، واستقراء آرائهم وأفكارهم، وبالتالي استخلاص النتائج التي تساعد في تحقيق أهداف البحث واستنتاجها، لذا فإن هذه الدراسة تعتمد على المنهج الوصفي والتحليلي وفقاً للخطوات التالية:

١- مراجعة الكتب التي تهتم بشئون الصلاة وأركانها، والأحاديث الخاصة بها وبعمارة المساجد والأدبيات ذات العلاقة لتحديد الاعتبارات التصميمية اللازمة في المساجد.

٢- دراسة ميدانية اقتصرت على عينة عشوائية لبعض المساجد في مدينة الرياض، وذلك لمعرفة الوضع الراهن لها، اشتملت على:

(أ) مسح ميداني يعتمد على استمارة بحثية.

(ب) زيارات ميدانية شملت مقابلات شخصية مفتوحة ومشاهدات سلوك المصلين، وتصويرا فوتوغرافيا لإبراز مشكلات البحث وتوضيحها.

(أ) المسح الميداني

ركزت الدراسة على استقراء آراء عينة عشوائية من المصلين في مدينة الرياض، وذلك عن طريق توزيع ٥٦ استمارة لثمانية وعشرين طالبا تم اختيارهم من كلية العمارة والتخطيط بجامعة الملك سعود. وبعد شرح تفاصيل الاستمارة لهم والهدف منها، تم توزيعهم على مناطق مختلفة في مدينة الرياض، وأعطي كل طالب استمارتين لتعبئتهما من خلال مقابلته لعدد ٢ من المصلين في مسجدين مختلفين (أحدهما محلي والآخر جامع). وقام الباحث بتعبئة خمسة وعشرين استمارة من خلال مقابلته لخمسة وعشرين مصليا في مساجد مختلفة في مدينة الرياض، استغرقت ثلاثين يوما. وبعد مراجعة الاستمارات التي نفذت عن طريق الطلبة استبعد ١٠منها، بينما تم استبعاد استمارتين فقط من التي جمعت من قبل الباحث، وذلك لعدم رغبة المشاركين في إجابة بعض بنود الإستبانة. وكان مجموع الاستمارات الصالحة للتحليل ٦٩ استمارة أي بنسبة ٨٣٪، شملت الجهات الأربع الرئيسية في مدينة الرياض (جدول ١). واستهدفت الاستمارة الحصول على معلومات عامة عن المساجد شملت معلومات عن نوع المسجد وموقعه وعدد الصفوف ومساحته، إضافة إلى مدى توافر العناصر الرئيسية والأخرى المكملة له. ومعلومات تصورية وانطباعية تضمنت معلومات عن احتياجات المصلين ورغباتهم ومدى انطباعهم عن تصميم المسجد وترتيب العناصر الداخلية فيه ومدى تأثيرها على خشوعهم أثناء الصلاة. [٩، ١٠]

جدول ١: حجم العينة الإحصائية ونسبتها في الجهات الأربع الرئيسية لمدينة الرياض.

الجهات الأربع	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
الشمال	٨	٢٣٪	١٠	٢٩٪	١٨	٢٦٪
الجنوب	٧	٢٠٪	٦	١٨٪	١٣	١٩٪
الشرق	٩	٢٦٪	٨	٢٤٪	١٧	٢٥٪
الغرب	١١	٣١٪	١٠	٢٩٪	٢١	٣٠٪
المجموع	٣٥	١٠٠٪	٣٤	١٠٠٪	٦٩	١٠٠٪

(ب) زيارات ميدانية

للحصول على معلومات أكثر عمقا وتفصيلا لطبيعة ونفسية المصلي، اهتم الباحث بعمل برنامج متكامل للزيارات الميدانية يشمل تقويم المسجد من النواحي المعمارية والإنشائية وتدوين الملاحظات اللازمة، ومقابلة المصلين قبل أداء الصلاة وبعدها، ومشاهدة سلوكهم قبل الأذان إلى ما بعد خروجهم جميعا من المسجد. كما تمت ملاحظة العلاقة بين سلوك المصلين وعناصر المسجد الداخلية وتدوينها. [١١، ١٢] وقد واجه الباحث صعوبة كبيرة في التقاط الصور الفوتوغرافية أثناء اجتماع المصلين في المسجد، وأثناء خروجهم. وعلى كل حال، من خلال هذه الزيارات الميدانية استطاع الباحث تدوين ملاحظاته ومشاهداته مما قد تؤيد مشكلات البحث وتساؤلاته أو تعارضها. وسيخصص جزء مستقل لشرح المشاهدات السلوكية للمصلين والمحادثات التي تمت معهم وتحليلها.

تحليل وعرض النتائج

نظرا لأن المسح الميداني الذي استخدم في جمع المعلومات من المصلين يتكون من جزأين رئيسيين: الأول يشمل مجموعة من الأسئلة التي تهتم بمعرفة الأوضاع الراهنة للمساجد بنوعيها المسجد المحلي (أو مسجد الفروض)، والجامع الذي تؤدى فيه صلاة الجمعة. والجزء الثاني يحتوي على معلومات انطباعية شخصية توضح رغبات المصلي وآراءه عن مكان أداء الصلاة. لذلك سيخصص الجزء الأول لإعطاء صورة واضحة عن واقع المساجد في مدينة الرياض، ونتائج انطباعات المصلين حول تقويم مساجدهم، وستكون هذه المعلومات هي المؤشرات التي ستستخدم من أجل دعم الجزء الثاني من المعلومات التي تتمثل في الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية والملاحظات السلوكية للمصلين. وستختتم هذه الورقة بعرض النتائج والتوصيات، وما يمكن الإسهام به في تطوير تصميم المساجد من الناحية الإنسانية.

التحليل الوصفي

هناك عدة جوانب مهمة حاولت الدراسة إلقاء الضوء عليها من واقع المساجد من النواحي المعمارية والوظيفية، وقد تم استخراج النتائج الإحصائية اللازمة للإجابة عنها. واشتملت تلك النتائج على تحديد النسب المئوية والمتوسطات الحسابية والجداول الأحادية. وستركز النتائج الأولية على وصف المتغيرات التالية:

١- مسافة السير إلى المسجد، وعدد الصفوف والمداخل والنوافذ.

٢- العناصر الفراغية.

٣- العناصر الداخلية والأثاث.

٤- تقويم عناصر المسجد.

١- مسافة السير إلى المسجد، وعدد الصفوف والمداخل والنوافذ

يوضح (جدول ٢) مسافة السير بين المسجد ومنازل المصلين. ويشير إلى أن ٥٩٪ من المصلين تبتعد منازلهم عن المسجد بمسافة أقل من ٢٠٠ متر، ويلي ذلك بعض المصلين الذين تقع منازلهم على بعد أقل من ٤٠٠ متر، ويمثلون ٢٦٪ من حجم العينة، أما باقي المصلين (١٥٪) فيبتعدون بمسافة أكثر من ٤٠٠ متر. وعند تحليل الجدول بالنسبة لنوع المسجد، نجد ارتفاعا كبيرا في نسبة المصلين الذين يبتعدون عن المسجد بمسافة أقل من ٢٠٠ متر في المساجد المحلية (مسجد الفروض). كما يمكن ملاحظة عدم إشارة أي مصلي في المساجد المحلية عن بعد منزله بمسافة أكثر من ٤٠٠متر، وهذه تعد نتائج جيدة حيال التوزيع السكاني للمساجد بالنسبة للأحياء السكنية.

جدول ٢: مسافة السير بين المسجد ومنزل المصلي.

المسافة	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪	العدد	النسبة ٪
أقل من ٢٠٠م	٢٥	٧٤٪	١٤	٤٤٪	٣٩	٥٩٪
من ٢٠٠- ٤٠٠م	٩	٢٦٪	٨	٢٥٪	١٧	٢٦٪
من ٤٠١-٦٠٠م	٠	-	٣	٩٪	٣	٤٥,٪
أكثر من ٦٠٠م	٠	-	٧	٢٢٪	٧	١٠٥,٪
المجموع	٣٤	١٠٠٪	٣٢	١٠٠٪	٦٦	١٠٠٪

أما بالنسبة لعدد الصفوف التي تستوعبها المساجد قيد الدراسة، فاتضح أن ٣٠٪ منها تحتوي على أكثر من ١٦ صفا، يلي ذلك المساجد التي تستوعب ما بين ٧ إلى ١٠ صفوف وتمثل ٢٧٪ منها. وعند تحليل المعلومات حسب نوع المسجد، تبين لنا أن ٧٦٪ من المساجد تستوعب ما لا يزيد على ١٠ صفوف مقابل ٨٪ من مساجد الجمعة.

ولمعرفة عدد مداخل المسجد ونوافذه ومواقعها، اتضح أن ١٣% من المساجد تحتوي على أبواب في جميع حوائطه الأربعة، و٣٧ % منها في ثلاثة. أما بالنسبة للنوافذ فوجد أن ٢٠% من المساجد تحتوي على نوافذ في جميع جهات المسجد، و٥٠% منها تحتوي على نوافذ في ثلاث جهات. وعند تحليل هذه المعلومات حسب نوع المسجد، وفي الوقت نفسه تحديد عدد المداخل والأبواب ومواقعها في كل حائط من حوائط المسجد الأربعة، يتضح لنا من (جدول ٣) أن الحائط المقابل للقبلة يتفوق على الحوائط الأخرى من ناحية وجود الأبواب، ومن ناحية عددها (٨٧% من المساجد تحتوي على أبواب بمتوسط ,٢١). ولكن ما يثير الانتباه هو التباين الكبير في وجود الأبواب على حائط القبلة، إذ تتفوق مساجد الجمعة على المساجد المحلية، وقد يكون هذا التباين بسبب عدم تفريق المشاركين في هذه الدراسة بين المدخل الخاص للخطيب والمداخل المستخدمة من قبل العامة.

جدول ٣: توزيع النسب المئوية والمتوسط الحسابي لعدد المداخل في حوائط المسجد.

موقع الأبواب	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	النسبة ٪	المتوسط الحسابي	النسبة ٪	المتوسط الحسابي	النسبة ٪	المتوسط الحسابي
حائط القبلة	٪٢٣	١,١	٪٦٢	١,٠٧	٪٤٢	١,١
الحائط المقابل	٪٨٦	١,٥	٪٨٨	٢,٣	٪٨٧	٢,١
الحائط الشمالي	٪٤٣	١,٢	٪٦٨	١,٥	٪٥٥	١,٤
الحائط الجنوبي	٪٢٩	١,١	٪٨٨	١,٢	٪٥٨	١,٣

أما بالنسبة لعدد النوافذ ومواقعها في كل حائط من حوائط المسجد الأربعة، فيتبين لنا بقراءة سريعة (للجدول ٤) أن ٢٦٪ من المساجد تحتوي على نوافذ في الحائط المقابل للقبلة بمعدل ٦ ٥ نافذة في الحائط. وربما يعود هذا إلى وجود أكبر عدد من الأبواب في هذا الجانب. أما بالنسبة للحوائط الأخرى، فتتعادل إلى حد ما من ناحية وجود النوافذ فيها وعددها، باستثناء حائط القبلة الذي يحتوي على أكبر عدد من النوافذ.

ولقد طلب من المشاركين في الدراسة تحديد ما إذا كانت مساجدهم تعرضت إلى فتح أو إغلاق أبوب أو نوافذ بعد الاستخدام، فتبين أن نسبة بسيطة من المساجد قد تعرضت لفتح أبواب أو نوافذ (٧٪ و٣٪ على التوالي). في المقابل، كانت نسبة إغلاق الأبواب والنوافذ أكبر قليلا، ١٧٪ و١٣٪ من المساجد على الترتيب.

جدول ٤: توزيع النسب المئوية والمتوسط الحسابي لعدد النوافذ في حوائط المسجد.

موقع الأبواب	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	النسبة ٪	المتوسط الحسابي	النسبة ٪	المتوسط الحسابي	النسبة ٪	المتوسط الحسابي
حائط القبلة	٪٧١	٥,٢	٪٦٨	٩,٥	٪٧٠	٧,٢
الحائط المقابل	٪١٧	٣,٥	٪٣٥	٦,٨	٪٢٦	٥,٦
الحائط الشمالي	٪٨٣	٤,٨	٪٨٨	٥,٧	٪٨٦	٥,٣
الحائط الجنوبي	٪٨٣	٢,٥	٪٩٧	٥,٦	٪٩٠	٤,٩

٢- العناصر الفراغية

من خلال الأدبيات التي تناولت هذا الموضوع، ومن واقع الزيارات الميدانية، تم اقتراح مجموعة من العناصر الرئيسية المكونة للمسجد (شملت المصلى والمحراب والمئذنة والقبة والمواضئ والساحة الخارجية)، وتم اقتراح عشرة

عناصر أخرى فرعية مكملة لتكوين المسجد، وطلب من المشاركين تحديد مدى توافر هذه العناصر في مساجدهم. وقد أوضحت ردود المشاركين توافر جميع العناصر الرئيسية في ٣٩٪ من المساجد، بالتحديد ١٧٪ من المساجد المحلية مقابل ٦٢٪ من مساجد الجمعة. ويتضح من البيانات الإحصائية التفصيلية أن باقي المساجد احتوت على جميع العناصر باستثناء عنصري القبة والساحة الخارجية إذ شكلتا ٦٣٪ و٢٩٪ من المساجد على التوالي. وأوضحت النتائج خلو مسجد واحد فقط من توافر عنصر الميضأة، وهذا يعد مؤشرا جيدا؛ نظرا لأهمية مثل هذه المرافق في تسهيل عملية الوضوء للمصلين.

أما فيما يتعلق بتوافر العناصر الأخرى المكلمة، فيلخص (جدول ٥) نتائج ردود المشاركين التي تحدد النسب المئوية لتوافر العناصر المقترحة، وذلك بجمع الإجابات الإيجابية (موجود أصلا، تم إضافته)، بالإضافة إلى حساب المتوسطات الحسابية لتوضيح الفارق في تفاوت الإجابات: (موجود أصلا، تم إضافته، لا يوجد)، وذلك بإعطائها القيم (٣، ٢، ١) على التوالي. لذا فإن ارتفاع قيمة المتوسط الحسابي يدل على أن العنصر المقترح يميل إلى أنه (موجود أصلا). وبإلقاء نظرة سريعة على الجدول، نجد توافر أجهزة التكييف في جميع المساجد تحت الدراسة، ولكن المتوسط الحسابي لها يدل على أن البعض منها تم إضافته بعد الاستخدام.

جدول ٥: توزيع النسب المئوية والمتوسط الحسابي لتوافر العناصر الفرعية المكملة في تكوين المسجد.

العنصر	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	النسبة*	المتوسط الحسابي	النسبة*	المتوسط الحسابي	النسبة*	المتوسط الحسابي
١- مصلى نساء دائم	٣٤٪	١ ٤٩	٤٧٪	١ ٧٤	٤١٪	١ ٦٢
٢- مصلى نساء في ليالي رمضان	٨٦٪	٢ ١١	٩٧٪	٢ ٤١	٩١٪	٢ ٢٦
٣- مكتبة	٢٣٪	١ ٣٧	٤٧٪	١ ٨٥	٣٥٪	١ ٦١
٤- مستودع	٧٧٪	٢ ٤٦	٧١٪	٢ ٣٢	٧٤٪	٢ ٤٠
٥- غرفة للحارس	٧٧٪	٢ ٤٠	٨٨٪	٢ ٦٨	٨٣٪	٢ ٥٤
٦- مكان لجماعة تحفيظ القرآن الكريم	٣١٪	١ ٥٤	٤٤٪	١ ٥٦	٣٨٪	١ ٥٥
٧- مظلات في المداخل	٦٠٪	١ ٨٩	٧١٪	٢ ٠٩	٦٦٪	١ ٩٩
٨- مظلات في الساحة الخارجية	٣١٪	١ ٣٧	٤٤٪	١ ٥٦	٣٨٪	١ ٤٩
٩- أجهزة تكييف	١٠٠٪	٢ ٧٤	١٠٠٪	٢ ٨٢	١٠٠٪	٢ ٧٨
١٠- مراوح علوية	٧٤٪	٢ ٣٧	٨٥٪	٢ ٦٢	٨٠٪	٢ ٤٩

* تم حساب النسبة المئوية عن طريق جمع إجابات المشاركين (ما تم إضافته موجود أصلا) من الردود الإجمالية.

والجدير بالذكر هنا أنه بالرغم من أن ٩١٪ من المساجد يستقطع منها بشكل مؤقت جزء لاستخدامه مصلى للنساء في ليالي رمضان (عنصر ٢)، نجد أن ٤١٪ فقط منها يتوافر فيه هذا العنصر بشكل دائم (عنصر ١)، ٥٠٪ منها تمت إضافته من قبل جماعة المسجد. وعند مقارنة المتوسطات الحسابية لتوافر العناصر (٢، ٤، ٥، ١٠) نجد أنه بالرغم من ارتفاع نسبة توافر العنصر (٢)، إلا أن العناصر الأخرى تتميز بمتوسط حسابي مرتفع؛ وذلك لأنها في أغلب الأحيان تؤخذ في الاعتبارات أثناء التنفيذ.

ملاحظة أخرى تكمن في قلة عدد المساجد التي تحتوي على مكتبة أو مكان لتحفيظ القرآن الكريم (٣٥٪ و٣٨٪ على التوالي)، على الرغم من أن مضمون المقابلات الشخصية التي أجريت مع بعض أئمة المساجد أكدت أهميتها. ويجدر التنويه إلى أن المشاركين في تعبئة الاستبيان ذكروا في بند الملاحظات أن أماكن تحفيظ القرآن الكريم يقصد بها فراغ المسجد الداخلي أو إحدى زواياه، و لم تكن هناك إشارة إلى وجود مبنى مستقل أو على الأقل صالة مخصصة لدراسة وتلاوة القرآن الكريم، وقد تمت ملاحظة ذلك، أيضا، عبر المشاهدات الميدانية.

٣- العناصر الداخلية والأثاث

يهدف هذا الجزء إلى معرفة مدى توافر بعض العناصر التكميلية والأثاث داخل المساجد. ويقصد بها تلك العناصر التي لها علاقة مباشرة مع المصلين، وهي إما علاقة وظيفة كاستخدام أو علاقة بصرية كمشاهدة. وستستخدم النتائج في دعم وتوثيق الجزء التحليلي لسلوك المصلين وآرائهم وانطباعاتهم.

وبإلقاء نظرة سريعة على (جدول ٦) يتبين لنا توافر أربعة عناصر (٢، ٣، ٤، ٩) بنسبة تزيد على ٩٤% من جميع المساجد، بينما نجد نسبا متدنية في توافر عنصري الزخارف الهندسية أو الخطية ٣٢% و٤١% على التوالي. ويمكن تفسير ذلك إلى أن الكثير من المصلين لا يرغبون في وجودها نظرا لما لها من تأثير في جذب انتباههم وبالتالي عدم خشوعهم في صلاتهم. وقد اتضح ذلك من خلال المقابلات الشخصية التي تمت مع مجموعة من المصلين. كما يشير الجدول إلى نقطة مهمة وهي وجود علاقة قوية من ناحية توافر دواليب حفظ الأحذية ونوع المسجد، ٧٦% من مساجد الجمعة مقابل ٤٣% من مساجد الفروض.

ملاحظة أخرى تتمثل في ارتفاع نسبة مساجد الفروض من ناحية توفير حاجز على الأبواب في المداخل الأمامية عنها في مساجد الجمعة، بالرغم من تفوق الأخير في عدد الأبواب الموجودة في الحائط الأمامي. ويعود هذا إلى أن أكثر من ٩٠٪ من المساجد المحلية التي تحتوي على أبواب في حائط القبلة وضع حاجز أو ساتر عليها (شكل ٣)؛ نظرا لاستخدام العامة لهذه المداخل، فبالتالي لا بد من المحافظة على عدم مضايقة المصلين الذين يصلون في مواجهة هذه المداخل. بينما المداخل الأمامية التي في مساجد الجمعة قد يكون الكثير منها – كما أشرنا سابقا – يستخدم من قبل الخطيب ولا تستخدم من قبل العامة.

٤- تقويم عناصر المسجد

يناقش هذا الجزء انطباعات المشاركين حول مساجدهم بشكل عام، وذلك من أجل معرفة مدى انسجام المصلين ورضاهم عن بيئتهم. فقد طلب من المشاركين تقويم عشرة عناصر، واعتبارات تتعلق بشكل المسجد ومضمونه من الداخل. ويوضح (جدول ٧) نتائج الردود التي تلخص النسب المئوية للإجابات الضمنية لـ: (ملائم جدا، ملائم) لجميع المشاركين، بالإضافة إلى حساب المتوسطات الحسابية لتوضيح الفارق في تفاوت الإجابات: (ملائم جدا، ملائم، غير ملائم، وغير ملائم على الإطلاق)، وذلك بإعطائها القيم: (٣،٤، ٢، ١) على التوالي. لذا فإن ارتفاع قيمة المتوسط الحسابي يعطي دلالة على أن العنصر المقترح يحظى بتقويم إيجابي.

جدول ٦: توزيع النسب المئوية لتوافر العناصر الداخلية والأثاث في المسجد.

العنصر	مسجد الفروض		مسجد الجمعة		المجموع	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١-دولاب لحفظ كتب الإمام	٢٤	٦٩٪	٢٦	٧٦٪	٥٠	٧٢٪
٢-دواليب لحفظ المصاحف	٣٥	١٠٠٪	٣٣	٩٧٪	٦٨	٩٩٪
٣-دولاب لحفظ أجهزة مكبرات الصوت	٣٤	٩٧٪	٣١	٩١٪	٦٥	٩٤٪
٤- مسند في الصفوف الأولى	٣١	٨٩٪	٣٤	١٠٠٪	٦٥	٩٤٪
٥-لوحة إعلانات	٢٨	٨٠٪	٣٠	٨٨٪	٥٨	٨٤٪
٦-دواليب لحفظ الأحذية	١٥	٤٣٪	٢٦	٧٦٪	٤١	٥٩٪
٧-نقوش أو زخارف هندسية	١٣	٣٧٪	٩	٢٦٪	٢٢	٣٢٪
٨-زخارف خطية (آيات قرآنية)	١٢	٣٤٪	١٦	٤٧٪	٢٨	٤١٪
٩- ساعة حائط	٣٤	٩٧٪	٣٤	١٠٠٪	٦٨	٩٩٪
١٠-حاجز في المدخل الأمامي	٨	٢٣٪	٥	١٥٪	١٣	١٩٪

وبمقارنة نتائج ردود المشاركين في (جدول ٧) يتبين لنا الارتفاع النسبي لمؤشري النسب المئوية والمتوسطات الحسابية لمساجد الجمعة في درجة تقويم المصلين لها مقابل المساجد المحلية، وذلك في جميع العناصر باستثناء التكييف. وربما هذا نتج من أن مساجد الجمعة تحظى باهتمام أكبر لاحتوائها عددا أكبر من المصلين وفي مناسبات مهمة، وهذا بدوره قد يكون العامل المؤثر في تدني مستوى التكييف فيها عن المساجد المحلية التي تتميز بصغر حجمها وقلة عدد المصلين بها.

ويوضح الجدول تباينا في توزيع مؤشري النسبة المئوية والمتوسط الحسابي بالنسبة لعنصري (٣، ٥)، وهما التكييف، ونظافة الفرش على الترتيب، فبينما يحظى عنصر (٥) بنسبة مئوية أعلى إلا أن المتوسط الحسابي يعطي دلالة واضحة على أن درجة التقويم لعنصر (٣) أفضل.

ملاحظة أخرى يمكن أن نستنتجها من الجدول، وهي عدم ارتياح غالبية المصلين المشاركين وخاصة في المساجد المحلية بمظهر مداخل مساجدهم. كما عبر ٩٢٪ من المصلين عن عدم قبولهم بمظهر تبعثر الأحذية في مداخل مساجدهم، وربما يعود ذلك إلى عدم وجو دواليب لحفظ الأحذية أو عدم كفايتها أو عدم تخصيص مكان ملائم لها.

جدول ٧: توزيع النسب المئوية والمتوسط الحسابي لانطباعات المصلين في تقويم عناصر المسجد.

العنصر أو الاعتبار	مسجد الفرض		مسجد الجمعة		المجموع	
	النسبة	المتوسط الحسابي	النسبة	المتوسط الحسابي	النسبة	المتوسط الحسابي
١- الإضاءة الطبيعية	٦٣٪	٢ ٧٣	٧٠٪	٣ ٠٠	٦٧٪	٢ ٧٨
٢- الإضاءة الصناعية	٦٣٪	٢ ٩٠	٧٥٪	٢ ٩٧	٦٩٪	٢ ٩٤
٣- التكييف	٨٣٪	٣ ٤٠	٧٥٪	٣ ١٩	٧٩٪	٣ ٢٩
٤- الطلاء الداخلي	٦٣٪	٢ ٩٣	٧٥٪	٣ ٠٠	٦٩٪	٢ ٩٨
٥- نظافة الفرش (الموكيت)	٨٠٪	٣ ٠٣	٨٤٪	٣ ١٣	٨٢٪	٣ ٠٨
٦- توزيع الصوت (التشويش والصدى)	٦٠٪	٢ ٧٣	٧٢٪	٢ ٨٨	٦٦٪	٢ ٨١
٧- الشكل الداخلي	٥٠٪	٢ ٧٠	٧٢٪	٢ ٨١	٦١٪	٢ ٧٦
٨- الشكل الخارجي	٣٠٪	٢ ٠٠	٥٠٪	٢ ٥٠	٤١٪	٢ ٢٦
٩- مظهر مداخل المسجد	٣٣٪	٢ ٠٧	٥٠٪	٢ ٤٠	٤١٪	٢ ٢٣
١٠- مظهر تبعثر الأحذية في المداخل	٣٪	١ ٢٠	١٣٪	١ ٥٧	٨٪	١ ٣٥

تحليل سلوك المصلين

من أجل التعمق في معرفة انطباعات المصلين ورغباتهم كان لابد من الاختلاط معهم بشكل مستمر، ومشاهدة تصرفاتهم وسلوكهم في أوقات مختلفة وأماكن متعددة. بالإضافة إلى ذلك، كان لا بد من مناقشتهم عن كل تصرف أو سلوك يحدث أمامي، وفي بعض الأحيان مناقشتهم حول نقاط أخرى تكرر حدوثها من خلال الزيارات الميدانية. لعمل كل هذا، كان من الضروري أن يكون بيني وبين المتحدثين (informants) ثقة متبادلة

تسهل مهمة المتحدث في إعطاء أحاسيسه وانطباعاته دون تردد أو نقصان. [٩، ١٣، ١٤] وساعد هذا أيضا، في الحصول على المعلومات المطلوبة من المصلين أنفسهم. كما أكدت المشاهدات السلوكية (behavioral observations) للمصلين على أهمية المعلومات التي أدلى بها المتحدثين وغالبا ما ساعدت في إثارة بعض نقاط الحديث أثناء المقابلات. إلا أن التقاط الصور الفوتوغرافية لتلك المشاهدات كان في أغلب الأحيان يواجه معارضة من الأئمة أو من بعض المصلين. على كل حال، سيعرض بعض الصور التي استطعنا التقاطها بسرعة في نهاية مناقشة عناصر المشاهدات السلوكية لزيادة التوضيح والاطلاع.

سيقتصر هذا الجزء على تحليل وعرض المشاهدات التي تكررت في كثير من المساجد التي تمت زيارتها، ومناقشة مضمون المقابلات الشخصية التي يشترك فيها مجموعة من المصلين. ويمكن حصر العناصر أو الاعتبارات (themes) التي جمعت من المقابلات والمشاهدات فيما يلي:

١- الحاجة إلى الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات.

٢- الحاجة إلى الاستناد على عمود أو مسند.

٣- الحاجة إلى الصلاة أمام عمود أو ساتر.

٤- الحاجة إلى مشاهدة الخطيب أثناء خطبة الجمعة.

٥- الحاجة إلى مكان خاص لخلع النعال.

١- الحاجة إلى الخشوع في الصلاة وعدم الالتفات

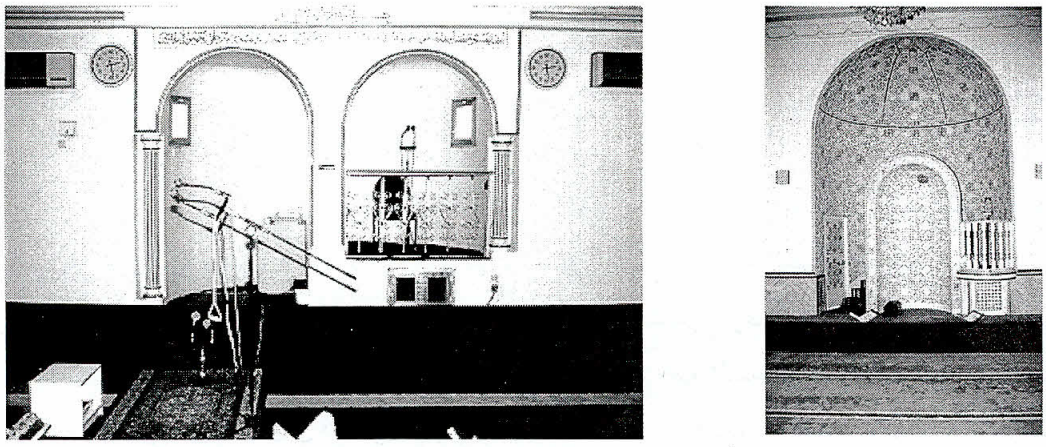
قال الله ﷻ في أول سورة المؤمنون: ﴿قد افلح المؤمنون* الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: (من أتم ركوعهن وخشوعهن)، وجعل الخشوع من شروط الصلاة التي لا تكتمل إلا به. وقال عليه الصلاة والسلام: "من صلى ركعتين لا يحدث نفسه فيهم بشيء من الدنيا ثم دعا الله استجيب له." [١٥، ص ٢٤] وقد سأل عليه السلام عن الالتفات في الصلاة فقال: "هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد." [٤، ص ١٨٧] وقال أحمد بن أبي الحواري: إذا قام العبد إلى الصلاة قال الله عز وجل: "ارفعوا الحجب بيني وبين عبدي" فإذا التفت قال: "أرخوها ودعوه وما رضي لنفسه." [٤، ص ١٨٨] وهناك آيات وأحاديث عديدة عن وجوب الخشوع في الصلاة، وعدم الالتفات.

من واقع المقابلات التي تمت مع المصلين ومشاهدة سلوكهم داخل المسجد، تم حصر مجموعة من الاعتبارات التي أكد غالبية المصلين أنها تثير انتباههم أثناء الصلاة، وتساعد في عدم خشوعهم. هذه الاعتبارات تشمل: النقوش والزخارف الخطية، ساعة الحائط، النوافذ ومداخل المسجد الأمامية، الكتيبات والمنشورات الدينية والثقافية.

في الجزء السابق تم التعرف على مدى توافر الاعتبارات الثلاثة الأولى في المساجد قيد الدراسة (جدول ٦). وقد تم أيضا سؤال المشاركين عما إذا كانت مساجدهم تحتوي على كتيبات أو منشورات دينية وثقافية أمامهم على

الأرض، فاتضح أن ٥١٪ منها يوجد بها تلك الكتيبات والمنشورات. من هذا المنطلق تمت مناقشة المصلين حول هذه الاعتبارات (المشغلة أو الملفتة للانتباه)، كما أطلق عليها الكثير من المصلين. فبالنسبة للاعتبار الأول (النقوش والزخارف الخطية (الشكل ٢)) عبر الكثير من المصلين (أربعة من بين كل خمسة) أنها تعد مصدرا قويا لجذب انتباه المصلي أثناء أداء الصلاة وخاصة صلاتي الظهر والعصر. وقد ذكر أحدهم أنه دائما يلتفت إلى النقوش والزخارف الموجودة أمامه حول المحراب أو على امتداد حائط القبلة (وهو واقف في بداية كل ركعة) وذلك لأن إمام المسجد يطول في الوقوف مما يجعله ينشغل بتعداد الخطوط الهندسية المكونة للشكل أو بمحاولة معرفة التقاسيم الرئيسية لها. وذكر آخر أنه في كل صلاة وفي كل مسجد جديد غالبا ما يحاول فك رموز الزخارف الخطية المتمثلة في الآيات القرآنية! وذكر أنها كثيرا ما تشغله عن التركيز والخشوع في الصلاة! وفي بعض الأحيان ينسى عدد الركعات التي أداها.

أما بالنسبة لساعة الحائط الموجودة أمام المصلين (شكل ٢)، فقد ذكر ثلاثة من بين كل أربعة تمت محادثتهم أنها تسبب إزعاجا لهم في كل ركعة من ركعات الصلاة، وخاصة أثناء الوقوف والجلوس! وذكر أحد المشاركين أنه لا يكتفي بالنظر إلى الوقت في ساعة الحائط المقابل له، بل أنه يحاول أن ينظر إلى ساعته التي في معصمه ويتأكد من تطابق الوقت فيهما! وذكر آخر أنه سمع أن أحد المصلين أخذ يضبط ساعته أثناء الصلاة طبقا لساعة المسجد ونسي أنه في الصلاة! وذكر آخر أن عقارب الساعة تثيره إلى أبعد ما يمكن، وذلك بحساب الوقت الذي يستغرقه الإمام (بالثانية) في أداء كل ركعة! وذكر آخر أن مشكلة مشاهدة الساعة ليست كبيرة، وخاصة عندما يكون المصلي أمامها مباشرة، (فهذا يبدوا أمرا طبيعيا)، ولكن المشكلة – كما ذكر – أنه عندما يكون المصلي في أطراف الصفوف فهذا قد يجعله يلتفت بعينه ويجاهدها إلى أن يسرق الوقت.

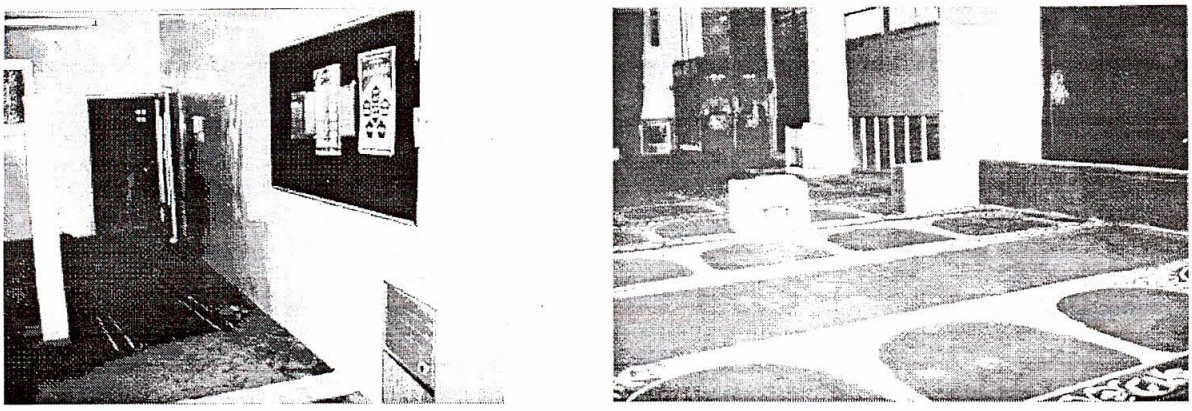


شكل ٢: تعد النقوش والزخارف الهندسية والخطية وساعة الحائط مصدرا قويا لجذب انتباه المصلين.

كما شكلت النوافذ الأمامية مشكلة من ناحية جذب نظر المصلين، وخاصة عندما تكون هذه النوافذ شفافة مما تجعل المصلي يشاهد ما يدور في الخارج، ويزداد حدوث هذه الظاهرة إذا كان المسجد يقع في وسط سوق، ولكن لم يتكرر ذكرها من المشاركين؛ إلا أن بعضهم (واحد من بين كل ثلاثة) ذكروا أن ألوان الستائر وخطوطها

الهندسية تمثل لهم مشكلة في أغلب الأحيان. أما بالنسبة للأبواب أو المداخل التي تقع على أحد طرفي الحائط الأمامي، فاتفق معظم المصلين الذين تمت مقابلتهم أنهم يتجنبون الصلاة أمامها في أكثر الأحيان. وقد ذكر أحدهم أنه عندما يصلي أمام الباب في طرف الصف فإنه يقوم بمشاهدة أكثر الناس الذين يمرون أمامه أثناء الصلاة! وذكر آخر أنه دائما ما يحاول الابتعاد عن مثل هذه الأماكن التي تواجه المداخل، حتى لو لزم الأمر وقوفه أواسط الصفوف الخلفية، بالرغم من أفضلية الصلاة في الصفوف التي تلي الإمام.

وفي أغلب المساجد التي تمت زيارتها، قام جماعة المسجد ببناء حائط أسمنتي أو حاجز خشبي لحجب الاتصال البصري بين المصلين والداخلين في المسجد (شكل ٣). أما فيما يتعلق بالكتيبات والمنشورات التي غالبا ما توضع قرب موضع سجود المصلي أو فوق دولاب المصاحف التي أمامه لتشجيعه على قراءتها بعد الانتهاء من أداء الصلاة أو قبلها، فذكر تسعة من بين عشرة مصلين أنهم دائما ما يقرأون عناوينها وفي بعض الأحيان أسماء المؤلفين لها، وهم في الصلاة! وذكر أحدهم أنه لا يتذكر فائدة هذه الكتيبات إلا وهو قائم يصلي!



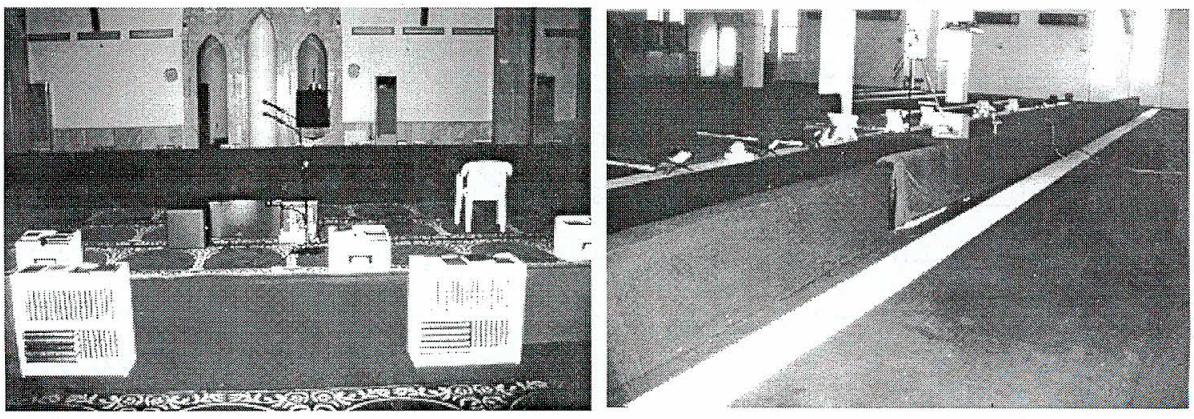
شكل ٣: تم وضع ساتر أو حاجز أمام المصلين للحد من التفاتهم ومرور الناس أمامهم.

وقبل اختتام مناقشة هذه الاعتبارات التي بلا شك تشغل المصلي وتقلل من خشوعه، بقي أن نقول إن المعماري ربما لا يكون لديه التأثير الواضح (أو العصا السحرية) في إبعاد جميع المصادر التي تسبب التفات المصلي عن الصلاة، وبالتالي عدم خشوعه فيها، ولكن بكل تأكيد يستطيع أن يقلص من هذه المصادر متى ما وضع هذه العناصر الملهية في اعتباره أثناء عملية التصميم، وحاول إبعادها عن مجال الرؤية للمصلين واهتم أكثر بتصميم تفاصيل الحائط الأمامي بما يتناسب واحتياجات المصلي في أداء الصلاة بخشوع وطمأنينة دون المبالغة في التفاصيل. فالنقوش والزخارف وساعة الحائط يمكن أن يوضع لها مكان خاص يستطيع جميع المصلين رؤيتها، ولكن ليس أثناء الصلاة، كأن يضعها على سبيل المثال في الخلف. ويهتم أيضا بتصميم مواقع الأبواب والنوافذ وعلاقتها مع أماكن صفوف المصلين وحركتهم. ويكفي أن يضع المصمم في اعتباره قول معاذ بن جبل- رضي الله عنه -: (من عرف من على يمينه ومن على شماله وهو في الصلاة متعمدا، فلا صلاة له)، [٤، ص ١٩٣] فهذا يدل على أن الهدف الأساسي من بناء المسجد هو الخشوع في الصلاة وعبادة الله – ﷻ.

٢- الحاجة إلى الاستناد على عمود أو مسند

ويقصد بالمسند البناء الموازي لحائط القبلة وارتفاعه لا يزيد على ٦٠ سم، يبنى في الصف الأول، وأحيانا في الصف الثاني (شكل ٤). ويستخدم المسند بجانب العمود وحوائط المسجد للاستناد قبل الصلاة وبعدها. وقد أوضحت الدراسة أن ما يقارب ٩٤٪ من المساجد تحتوي على مسند، (جدول ٦). كما أوضحت الدراسة أن ٩١٪ من المصلين يرغبون في الاستناد عليها، وخاصة قبل إقامة الصلاة إذا ما وجد مكان فارغ أمامها.

ونظرا لأهمية هذا الاعتبار وتكراره من قبل الكثير من المصلين، فقد تم التركيز على مشاهدة سلوكهم أثناء دخولهم وانتشارهم في المساجد. وفي أحد المساجد جلست في إحدى زواياه الخلفية ومعي أوراقي لتدوين المشاهد السلوكية، فأول ما تمت ملاحظته على المصلين هو اتجاههم إلى وسط الصف الأول الذي يحتوي على مسند مغطى بالقماش الأزرق مطابقا للون الفرش. وهذا أمر طبيعي، لحث الرسول عليه الصلاة والسلام على أفضلية الصفوف الأولى، ولكن ما يثير الانتباه أنه بعد امتلاء المسند الذي يتوسط الصف الأول بدأ الناس يتجهون إلى المسند الذي في الصف الثاني، ثم الأعمدة، ثم الحوائط الجانبية تاركين فراغات واسعة في الصف الأول بالرغم من أفضليته. وتكرر هذا المشهد، أيضا، في أحد مساجد الجمعة، إلا عندما لا توجد أعمدة فإن بعض الناس يذهبون إلى الحوائط تاركين وسط المسجد شبه خال، ثم يبدأ الانتشار في الوسط. ومن الملاحظات أن بعض هؤلاء المصلين (ومنهم الشباب وكبار السن) يبالغون في جلوسهم إذ يبسطون أرجلهم إلى الأمام، ويسترخون بشكل يوحي بحاجتهم إلى النوم.



شكل ٤: الكثير من المساجد تحتوي على مسند في الصف الأول والثاني وفي بعض الأحيان الثالث من أجل راحة المصلين.

هذا المشهد يتكرر في أغلب الأحيان من الناس الذين يأتون مبكرا للصلاة، فمنهم من كان يستند للاسترخاء، ومنهم لمساعدته في قراءة القرآن الكريم، والبعض لذكر الله وتسبيحه، وآخرون لا لشيء إنما – أعتقد – لشعورهم بضخامة المسجد واتساعه وارتفاع سقفه مما يجعلهم يحتاجون إلى مكان آمن وذو حدود واضحة. [١٦] وأشار البعض إلى أن وجود دواليب حفظ المصحف الشريف بجوار هذه الأماكن هي السبب الرئيسي في جلوسهم

بقربها. ملاحظة أخرى تمت مشاهدتها في المساجد التي تحتوي على عدد كبير من العمالة الوافدة، وهي تجمع هذه العمالة حول الأعمدة، إذ يبدأ أحدهم في الجلوس حول العامود (أو المسند إذا كان في الخلف) ثم يأتي الآخرون من حوله. وفي بعض الأحيان تستمر الجلسة إلى ما بعد الفراغ من الصلاة.

وقبل اختتام النقاش لهذا الاعتبار، ينبغي التنويه إلى أن هذه الأعمدة والمساند كان لها وظيفة أخرى لا تقل أهميتها عن الحاجة إلى الاستناد. وهذا ما سيناقشه الاعتبار التالي.

٣- الحاجة إلى الصلاة أمام عمود أو ساتر

وردت عن الرسول ﷺ في المنع من المرور بين يدي المصلي والصلاة إلى السترة أحاديث كثيرة، منها أنه قال: (وليستتر أحدكم لصلاته ولو بسهم). [٤، ص ١٤٠] وقال ﷺ: (إذا كان أحدكم يصلي فلا يدع أحداً يمر بين يديه، وليدرأه ما استطاع، فإن أبى فليقاتله، فإنما هو شيطان). [١٧، ص ٣٦٢]

من منطلق أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام وترغيبه في الصلاة أمام ساتر، ذهب الكثير من المصلين في البحث عن أي ساتر أو حاجز (object) في المسجد لأداء النوافل التي قبل الصلاة المفروضة أو بعدها، وذلك تجنباً من احتمال مرور الناس أمامهم أثناء دخولهم أو خروجهم من المسجد. فمن المشاهدات المتكررة بشكل واضح اتجاه المصلين، بعد تكامل نسبي للصف الأول، إلى الأماكن التي أمامها ساتر، كخلف عمود أو مسند أو دولاب حفظ المصاحف. ولا يهم إن كان ذلك المكان في الصفوف الأولى أو الخلفية، المهم وجود ساتر. ومن واقع المقابلات وجد أن من بين كل عشرة مصلين ثمانية يفضلون أداء الصلاة أمام ساتر. وعند سؤال أحدهم عن ذلك، ذكر أنه لا يحبّ أن يقاتل في إبعاد المارين أمامه أثناء صلاته، فهذا يقلل من خشوعه وتركيزه، وذلك - على حسب قوله — أن الناس في هذه الأيام لا يكترثون بهذه الأمور، فيمر الإنسان دون أي اعتبار للمصلين.

ومن المشاهدات المتكررة، أن بعض المصلين الذين تفوتهم بعض الركعات يقومون بوضع ساتر أمامهم (ككرتون مناديل أو أي ممتلكات شخصية كمحفظة أو عصا ... الخ) وذلك لكثرة الخارجين بعد انتهاء الصلاة مما يستدعي بلا شك مرورهم أمام هؤلاء الذين ما زالوا في الصلاة. مشاهدة أخرى تتمثل في اتجاه المصلين بعد فراغهم من الصلاة إلى الحائط الأمامي أو أواخر الصفوف بجانب الحائط الذي لا يحتوي على مداخل، وأمام الأعمدة إذا كانت فارغة من أجل تأدية السنة أو ذكر الله وتسبيحه.

إن محاولة امتثال الناس بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام بالصلاة أمام ساتر ينبغي أن يجد تشجيعاً من مصممي المساجد، وذلك بوضع هذا الاعتبار في أولويات التصميم، وبشكل يتناسب مع سلوك المصلين قبل الصلاة وبعدها. ولا أعتقد صعوبة هذا على قدرات المعماري، فمتى ما عرف المتطلبات التي يحتاجها المصلي داخل المسجد، ومتى ما وضع شروط الصلاة وأركانها في اعتباره فإنه بلا شك سيصل إلى حل يناسب — وبشكل متميز — الهدف من بناء المساجد. وقد لا يكون الحل، مثلاً بوضع مجموعة من الأعمدة وبعمق قصير داخل المسجد (كما كان عليه مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام في عهده)، ولكن بفرشه وتجهيزه، وتحديد أماكن خاصة

للحركة لا تخل بتكامل الصفوف، وفي الوقت نفسه، تحد من مرور الناس أمام المصلين وتتواكب والتقدم التقني والعلمي لهذا العصر. كما أن وضع عدد كبير من الأعمدة داخل المسجد كحل لهذه الظاهرة وجد أنه يسبب مشكلة أخرى لبعض المصلين، وهذا ما سيوضحه الجزء التالي.

٤- الحاجة إلى مشاهدة الخطيب أثناء خطبة الجمعة

لقد وردت عن الرسول الكريم أحاديث كثيرة في فضل الجمعة، وأخرى عن أهمية القرب من الإمام، والإنصات لخطبته وفهمها، فقد قال عليه الصلاة السلام: (احضروا الذكر وادنوا من الإمام، فإن الرجل لا يزال يتأخر حتى يؤخر في الجنة وإن دخلها) [٤، ص ٢١٦] وقال عليه الصلاة السلام: (من توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر الله له ما بينه وبين الجمعة، ...). [١٨، ص ٣٧١] وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن تخطي الرقاب أو التفريق بين اثنين أثناء إلقاء الخطبة.

وقد ذكر الكثير من علماء النفس (psychologists) وعلماء أصل الجنس البشري (anthropologists) أن من أهم حقوق المستمع أن يرى المتحدث ويسمعه بوضوح دون تشويش أو عوائق، ومن أهم حقوق المتحدث أن يرى المشاركين أو المستمعين ويسمعهم بوضوح. [١٦، ١٩، ٢٠] كما أن من أهم عناصر الاتصالات الفعالة مقابلة المتحدث للمستمعين وجهاً لوجه، إذ لا يكفي الاستماع فقط، بل يفضل من أجل استقبال الرسالة كاملة أن يشاهد المستمع بعينه وضع الجسم، وإشارات اليدين، وتعبيرات الوجه (facial expressions)، وتغير نبرات الصوت، [١٦] والهدف من كل هذا أن يستوعب المستمع كل ما يقوله المتحدث بسهولة ووضوح.

وقد أظهرت هذه الدراسة عند سؤال المشاركين حول ما إذا كانوا يرغبون في مشاهدة الخطيب أثناء إلقائه خطبة الجمعة أن ٩١٪ منهم أجابوا بنعم. كما أن المشاهدات التي تمت في مساجد الجمعة تؤكدها، إذ لاحظت أنه عندما تكون الصفوف فيها شبه ممتلئة، فإن الأماكن التي يكون بينها وبين موقع الخطيب عائق للرؤية تصبح فارغة حتى يزدحم المسجد، وبالتالي يبدأ الناس في تخطي رقاب الآخرين من أجل الوصول إليها. ومن الملاحظات، أيضاً، أن بعض المستمعين في هذه الأماكن يجاهدون أنفسهم بالالتفات بأقصى ما يمكن إلى اليمين أو الشمال لرؤية الخطيب إذا تغيرت نبرات صوته. ورأي آخر يؤكد ذلك، إذ أن أحد المصلين ذكر أنه إذا كان يواجه الخطيب مباشرة فإن استيعابه للخطبة يزداد بشكل واضح.

بالطبع، يبدو هذا الأمر سهل التنفيذ، خاصة مع التقدم التقني الكبير في إنشاء المساجد مما يجعله ممكناً في إزالة كل الأعمدة والعوائق الأخرى من وسط المسجد. وبالرغم من أن هذا يتعارض مع رغبة بعض المصلين في وجود الأعمدة للاستناد عليها أو الصلاة خلفها، إلا أن المعماري يستطيع أن يوفق بينهما ويُعطي كل شيء حقه، وذلك بدراسة زاوية الرؤية، وموقع الخطيب، وتقليص المشكلات الناتجة من حجب الرؤية. كما أن المعماري يستطيع عمل الكثير حول ابتكار فراغ متكامل وجو بيئي مناسب يُسهل عملية الاتصالات، وذلك من خلال دراسة الإضاءة وتوزيع الصوت، وما إلى ذلك من الاعتبارات المتعلقة بتصميم مثل هذه الأماكن.

٥- الحاجة إلى مكان خاص لخلع النعال

يقول الشيخ علي الطنطاوي في ظاهرة خلع النعال عند وصفه للجامع الأموي بدمشق: (وكان الدخول إلى المساجد في أول الإسلام بالنعال، لأن الأرض في الحجاز جافة، والمساجد غير مفروشة، وكذلك كان يدخل إلى صحن الأموي، كما يظهر، وفي ربيع سنة ٨٢٧هـ ... ألزم الناس ألا يمشوا في الصحن إلا حفاة وشق عليهم، ولكنه (الإمام) أصر، وعمل على الأبواب درابزينات وحواجز لخلع النعال، ..، واستمر المنع إلى الآن). [٢١، ص ٢١] إن مسألة خلع النعال ما زالت مشكلة تواجه العديد من الناس مع اختلاف فئاتهم وأعمارهم وحالاتهم الاجتماعية والاقتصادية. وهناك أسباب عديدة لهذه المشكلة كما يرويها بعض المشاركين في المقابلات الشخصية. فيذكر أحدهم أن المسجد الذي يصلي فيه – بالرغم من حداثته واتساعه وارتفاع تكلفة إنشائه، إلا أنه لا يحتوي على مكان (آمن) لحفظ حذائه. فقد تعرض للسرقة (من بعض المتطفلين) أكثر من مرة، وإن لم يكن كذلك، فإن حذاءه يتعرض للتلف أو الخدش من خلال مشي الناس عليه (شكل ٥ أ). وذكر آخر أنه دائما ما يضع حذاءه في مكانين مختلفين (حذاء القدم اليمنى في مكان، واليسرى في مكان آخر)، كي لا يعطي (المتطفلين) فرصة في أخذها.

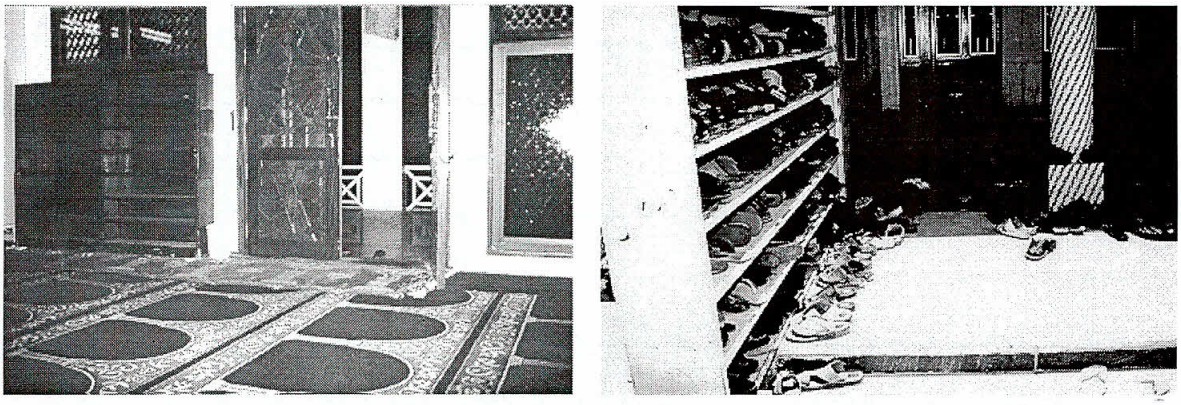


شكل ٥: توضح الصورة الأولى مشي الناس فوق أحذية الآخرين؛ وتوضح الصورة الثانية تبعثر الأحذية بشكل غير منظم أمام مداخل المسجد.

وهناك مشكلة أخرى تتمثل في مظهر المساجد عندما لا يوجد مكان واضح لوضع النعال. فكثيرا ما تمتلئ المداخل بأحذية المصلين بشكل مبعثر وغير منتظم مما يعطي صورة لا تليق بمكانة المسجد وطهارته على الإطلاق (شكل ٥ ب). وتزداد هذه المشكلة إذا كانت المداخل في حائط القبلة أو في الحائطين العموديين عليها، وتبدأ هذه المشكلة عندما يقوم أحد المصليين بأخذ نعله إلى الداخل بقرب الباب، ثم شيئا فشيئا، يذهب الآخرون بوضع نعالهم بجوارها حتى تكون مداخل المسجد مليئة بها. وعند محادثة أحد هؤلاء الذين يضعون أحذيتهم داخل المسجد ذكر أنه بهذا يستطيع أن يحافظ عليها من السرقة والإتلاف، وأن يدخل مباشرة إلى وسط المسجد دون أن يطأ أحذية الآخرين، وأن يجدها أمامه قبل الخروج.

وبالرغم من أن بعض المساجد (٥٩٪) تحتوي على دواليب لوضع الأحذية عند مداخلها، إلا أنه من الملاحظ تراكم أعداد كبيرة منها حول المداخل، ويعود ذلك كما ذكر أحد المصلين إلى أن هؤلاء الناس يأتون متأخرين إلى الصلاة فيخلعون أحذيتهم في أي مكان كان قرب المدخل دون مبالاة أو احترام لشعور الآخرين من أجل إدراك ما تبقى من الصلاة. وذكر آخر أن الدولاب المخصص لحفظ الأحذية لا يكفي لاستيعاب أحذية جميع المصلين، لذا يلجأ البعض منهم إلى وضعها في أقرب مكان للمدخل (شكل ٦ أ).

وعند محاولة معرفة رغبات المصلين حيال أفضل مكان لوضع أحذيتهم، أفاد واحد من بين كل ثلاثة مصلين أنهم يفضلون أخذها معهم إلى الداخل في مكان مخصص دون إيذاء الآخرين، بينما ذكر الآخرون (٣/٢) أن وجود الحذاء في داخل المسجد أمر غير لائق، بل من الأفضل وضع دواليب في الخارج ولكن بشكل يشجع المصلين على وضعها دون تردد (شكل ٦ ب).



شكل ٦: توضح الصورة الأولى الحاجة إلى تطوير تصميم دواليب حفظ الأحذية؛ وتوضح الصورة الثانية توفير مكان خاص أو دواليب لوضع الأحذية داخل المسجد لتلبية رغبات بعض المصلين.

ومن الطرائف التي ذكرت في هذا الموضوع، أن أحد الخطباء في أحد مساجد الجمعة بشمال مدينة الرياض خصص خطبته لإثارة هذه المشكلة في سبيل إيجاد حل ناجح لها. وذكر أحد الحاضرين في ذلك اليوم أن الخطيب اقترح مجموعة من الحلول، بعضها لم يكن يحظى برضى المصلين، مثل تخصيص دولاب بقفل لكل مصل، أو الحضور إلى المسجد بحذاء شبه تالف (غير صالح للسرقة)، أو تفريق جوز الحذاء في مكانين مختلفين. ... الخ. المهم أن مشكلة خلع النعال وحفظها في مكان آمن دون تأثير على مكانة وطهارة المسجد، ما زالت قائمة، وتحتاج من المعماريين الاجتهاد في الإبداع والابتكار لحلها.

من هذه المشاهدات والمقابلات التي تمت مع المصلين يتبين لنا مدى انتشار هذه الظاهرة في المساجد عموما، وفي المساجد المزدحمة بشكل خاص، وقد يتحمل المعماريون جزءا كبيرا منها، إذ ينبغي عليهم الاهتمام بفهم سلوك المصلين، ودراسة العوامل المؤثرة في تصرفاتهم، سواء أثناء دخولهم أو خروجهم من مساجدهم. كما ينبغي عليهم إعادة النظر في تصميم صالات المداخل بما يتناسب مع مكانة المسجد وطهارته، وحجم جماعته وموقعه.

الخاتمة

ركز هذا البحث على دراسة الأوضاع الراهنة لمباني المساجد في مدينة الرياض، وحاول معرفة مدى ملاءمتها للاحتياجات النفسية للمصلين، وتأثير العناصر الداخلية والاعتبارات الأخرى التكميلية في سلوكهم. وقد أوضحت الدراسة نتائج طيبة من خلال توافر جميع العناصر الرئيسية المكونة للمسجد باستثناء عنصري القبة والساحة الخارجية، بينما خلى مسجد واحد فقط من وجود عنصر الميضأة. إلا أن عدم وجود مصلى دائم للنساء في معظم المساجد، جعل الكثير من جماعتها يستقطع جزءا منها لأداء صلاة التراويح في رمضان. وأشارت الدراسة إلى احتياج الكثير من المساجد إلى توفير مكتبة خاصة لخدمة سكان الحي، وصالة مجهزة لجماعة تحفيظ القرآن الكريم، لا سيما وأن الدولة تقوم بتشجيع المدرسين والطلاب ودعمهم ماديا ومعنويا، بالإضافة إلى التبرعات السخية من أهل الخير.

كما أظهرت النتائج أن أكثر من ثلث المساجد تحتوي على مداخل في حائط القبلة المواجه للمصلين مما تسبب في إزعاج كثير منهم، وجذب انتباههم، وحد من خشوعهم في صلاتهم. وأكدت ذلك المشاهدات الميدانية. بل اتضح منها أن بعض المساجد تفتقر إلى مداخل واسعة أو ساحات خارجية لتهيئة الناس قبل دخولهم إلى فراغ المسجد الداخلي. أسهم هذا في تشجيع الناس على وضع أحذيتهم داخل المسجد بقرب الباب بأسلوب عشوائي غير منظم لا يليق بمكانة وقدسية فراغ الصلاة.

وعلى الرغم من أنه لا يمكن تحميل المعماريين والمصممين المسئولية الكاملة تجاه السلبيات والمشكلات التي ناقشتها هذه الدراسة وخاصة فيما يتعلق بخشوع المصلين وعدم التفاتهم عنها، إلا أنهم يستطيعون بلا شك عمل الكثير حول تصميم بيئة مناسبة ومتكاملة تشجع الناس على احترام مكان صلاتهم وقضاء وقت أطول للعبادة فيها وزيادة الخشوع والطمأنينة في الصلاة. ومن أجل تحقيق ذلك، والإسهام في تفادي الكثير من الظواهر السلبية السابقة، على المعماريين وجميع المهتمين بإنشاء المساجد، دراسة الاعتبارات التالية التي قد تكون بداية متواضعة في بناء قاعدة متينة من المعلومات تصب في وضع المعايير والأسس الواضحة والمتكاملة في تصميم المساجد.

١- الاهتمام في تصميم بيئة ذات طبيعة دينية خاصة ومواصفات نابعة من معطيات العقيدة، وعن فهم شامل لأركان الصلاة وشروطها، وفي الوقت نفسه فهم طبيعة الإنسان والعوامل المؤثرة في سلوكه.

٢- يراعي البساطة في تصميم المساجد مع التركيز على التصميم الداخلي من حيث التفاصيل والفراغات الداخلية والعناصر الإنشائية والتكميلية، ودراسة وافية لتوزيع الأثاث اللازم، وجعل كل هذا عوامل مساعدة لجذب همة المصلي للامتثال لشروط الصلاة، ودراسة إمكانية توظيف هذه العناصر كمسند أو ساتر للمصلين. وبذل كل ما يمكن في توفير مكان يليق بطهارة المسجد، ومحاولة ابتكار طريقة مثلى في تحديد أماكن واضحة لحركة الناس داخل المصلى بشرط ألا تخل بتكامل الصفوف أثناء الصلاة، وفي الوقت نفسه تحد من مرور الناس أمام المصلين.

٣- الاهتمام بتصميم حائط القبلة، وعدم المبالغة في التفاصيل الخارجة عن وظيفة المسجد الرئيسية، والتخلص من العناصر التكميلية (كالزخارف والنقوش وساعة الحائط وقناديل الإضاءة المزخرفة والستائر الملونة... الخ) التي قد تشغل المصلي وتلهيه عن أداء الصلاة بخشوع وطمأنينة.

٤- توفير جو هادئ وبيئة مناسبة تساعد على استقبال المعلومات من مصدرها كاملة بوضوح دون عوائق أو تشويش. ومعالجة الضوء والصوت والصدى والتكييف بما يتناسب مع احتياجات الإنسان، والحد من تسرب الضجيج أو الإضاءة المباشرة إلى الداخل.

٥- ضرورة توفير ساحات خارجية أو ـ على أقل الأحوال ـ تطوير تصميم مداخل المساجد وإيجاد أماكن "تهيئة"، وأماكن أخرى لدواليب حفظ الأحذية تتناسب مع عدد المصلين للحد من وضعها مبعثرة دون أن تجرح شعور الآخرين وكرامتهم.

٦- ضرورة التنسيق بين الجهات المعنية، وعلى رأسها وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة الإرشاد، من أجل تنظيم عملية بناء المساجد، وذلك من خلال تطوير برنامج معماري وسلوكي متكامل يسهم في تسهيل مهمة التصميم والتخطيط بما يحقق الهدف الرئيسي لوظيفة المسجد، ويلبي احتياجات المصلي، والمجتمع السكاني بشكل عام.

مما سبق يتضح مدى صعوبة تصميم المسجد بالرغم من قلة فراغاته ووضوح وظيفته، ويبقى موضوع البحث ونقاطه مرتعا خصبا للمزيد من الدراسات والمسوحات التي تهدف إلى تحقيق مبنى ديني يليق بقدسيته ومكانته في الإسلام.

المراجع

[١] *القرآن الكريم.*

[٢] ماهر، سعاد. *مساجد في السيرة النبوية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٧م.

[٣] الشعراوي، محمد متولي. *المعجزة الكبرى: الإسراء والمعراج*. دار أخبار اليوم، (ب. ت).

[٤] ابن الخراط، الإمام الحافظ أبي محمد. *الصلاة والتهجد*. تحقيق عادل أبو المعاطي, المنصورة: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٢م.

[٥] ابراهيم، محمد عبد العال. "المسجد: من المسقط العربي إلى المسقط الأوربي." *المجلة المعمارية العلمية*، العدد ٣ كلية الهندسة المعمارية، بيروت: ١٩٨٧م، ص.ص ٧- ٣٧.

[٦] البهنسي، عفيف. *الفن الاسلامي*. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٦م.

[٧] مصطفى، د. صالح لمعي. *التراث المعماري الإسلامي في مصر*. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ١٩٨٤م.

[٨] شافعي، د. فريد. *العمارة الإسلامية في مصر العربية: عصر الولاة*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

[٩] Zeisel, J. *Inquiry by Design: Tools for Environment-Behavior research.* Cambridge: University Press, 1984.

[١٠] Fowler, F. *Survey Research Methods.* London: Sage Publications Beverly Hills, 1988.

[١١] Buttimer, A. and Seamon, D. (Eds.) *The Human Experience of Space and Place.* New York: S. Martin's Press, 1980.

[١٢] Heimstra, N. w. and McFarling, L. *Environmental Psychology.* Monterey: Wadsworth Publishing Company, Inc. 1974.

[١٣] Merton, R., Fiske, M., and Kedall, P. *The Focused Interview.* New York: Free Press, 1956.

[١٤] Proshansky, H., Ittelson, N., and Rivlin, L. *Environmental Psychology: Man and His Physical Setting.* New York: Holt, Rinehart and Winston, Inc., 1976.

[١٥] الترمذي، للحكيم أبي عبد الله. *الصلاة ومقاصدها*. حققه الشيخ بهيج غزاوي, بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٩١م.

[١٦] Deasy, C. M. and Lasswell, T. *Designing Places for People: A Handbook on Human Behavior for Architects, Designers, and facility Managers.* New York: Whitney Library of Design, 1990.

[١٧] أبو الحسين، مسلم بن الحجاج. *صحيح مسلم*. م١، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. دار إحياء الكتب العربية.

[١٨] أبو عيسى، محمد بن سورة. *سنن الترمذي*. م٢، تحقيق أحمد شاكر وفؤاد عبد الباقي، مطبعة الحلبي، ١٩٧٨م.

[١٩] Sommer, Robert. *Personal Space: The Behavioral Basis of Design.* Englewood Cliff, N, J.: Prentice Hall 1969.

[٢٠] Harrigan, John and Harrigan, Janet. *Human Factors Programs for Architects, Interior Designers, and Clients.* San Luis Obispo, Cal: Meyer, Marriam and associates, 1967.

[٢١] الطنطاوي، علي. *الجامع الأموي في دمشق*. جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

Designing Mosques for Human Needs

AbdulAziz S. H. Al-Mogren

Collage of Architecture and Planning, King Saud University

Riyadh, Kingdom of Saudi Arabia

Abstract: Mosques are considered to be the most prominent of all public facilities in Muslim society, since they are the holy places where a servant meets his creature, Allah, five times a day. He the almighty Allah, has encouraged and promoted –by all means- constructing and developing mosques and has ordered that their main function be go remembering Him and praying for him only.

As contribution towards improving mosques' design and construction, this study combines quantitative and qualitative methods to document the existing conditions for both types of mosques (Local and Friday's mosques) in the city of Riyadh, and to understand how far they fulfill the physical, psychological, and spiritual needs and requirements of the prayers. A questionnaire survey of 69 mosques yielded information about the general design functions and the construction conditions of mosques. Subsequently an in-depth qualitative study was conducted involving interviews and observations of prayers (participants) in their mosques which revealed a number of themes shared by many of them. Recommendations call for improved comprehensive planning and design of religious facilities with a full deliberation to interior design as a respect to the psychological and spiritual needs of prayers, involving coordination with all concerned agencies, private and government.